ثانياً: «يـس»:

ذكر الأخفش في «يـس» معنى واحداً ليس غير، وهو أنه بمعنى يا إنسان، ونبَّه على أنَّ المعنيَّ به هو النبيُّ ﷺ.

يقول الأخفش: «ومن سورة يـس قال: (يـس) يقال: معناها يا إنسان كأنه يعني النبي ﷺ؛ فلذلك قال: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ (سورة (٣٦) يـس، آية ٣)؛ لأنه يعني النبي ﷺ[1].

---

(١) الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، ٢/٦٦٦.

ونجد التفسير نفسه عند الفخر الرازي إذ قال: «قيل في خصوص (يـس) إنه كلام هو نداء معناه يا إنسان... وعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب مع محمد ﷺ ويدل عليه قوله تعالى بعده: ﴿إنك لمن المرسلين﴾».

الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ٢٦/ص٤٠.

وأشار أبو عبد الله القرطبي إلى هذا المعنى ونسبه إلى سعيد بن جبير يقول القرطبي في أثناء حديثه عن معاني «يـس»: «وقال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد ﷺ، ودليله: ﴿إنك لمن المرسلين﴾ (سورة (٣٦) يـس، آية ٣) وذكر أنهم «قالوا في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ سورة (٣٧) الصافات، آية ١٣٠ أي على آل محمد» أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٨/ج١٥ ص٥. ونبَّه القرطبي على المعنى نفسه ولكن بصيغة أخرى؛ إذ قال وهو يتحدث عن معاني «يـس»: «وقال أبو =

وأشار الفرّاء إلى معنيين في «يـٰسٓ» الأول أنه بمعنى يا رجل، والثاني أنه بمنزلة حرف الهجاء وعزا الأول إلى الحسن بإسناد، أما الثاني فذكر أنَّ هذا هو معناه في العربية؛ يقول في معرض حديثه عن سورة «يـٰسٓ»:

«قوله: «يـٰسٓ» حدثنا أبو العباس قال: حدثنا محمد قال: حدثنا الفرّاء قال: حدثني شيخ من أهل الكوفة عن الحسن نفسه قال: يـٰسٓ: يا رجل. وهو في العربية بمنزلة حرف الهجاء؛ كقولك: حَمَ وأشباهها»[1].

أما ابن جرير الطبري فذكر في «يـٰسٓ» أربعة أقوال[2] تبين اختلاف المفسِّرين فيه:

الأول: أنه اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به؛ يقول في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يـٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ (سورة (٣٦) يـٰسٓ، آية ١، ٢): «اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (يـٰسٓ) فقال بعضهم: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله...»[3].

= بكر الوراق: معناه يا سيِّد البشر» المرجع السابق، م٨/ج١٥/ ص٥. وسيد البشر هو النبي محمد ﷺ.

(١) الفرّاء، معاني القرآن، ٢/ ٣٧١.

(٢) انظر ابن جرير الطبري تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، م١٢/ج٢٢/ ص١٤٨.

(٣) المرجع السابق، م١٢/ج٢٢/ ص١٤٨. =

فـ «يـس» على هذا القول علم باعتباره اسماً من أسماء الله أُقسم به.

والثاني: أنه بمعنى يا رجل؛ إذ قال ابن جرير الطبري: «وقال آخرون: معناه: يا رجل»[1] وفي «ذكر من قال ذلك» أسند إلى ابن عباس أنَّ «يـس» معناها يا إنسان بالحبشية. يقول: «... عن ابن عباس في قوله (يـس) قال: يا إنسان بالحبشية»[2] فـ «يـس» هنا معناه يا إنسان، أو يا رجل.

= وذكر أبو جعفر النحاس وهو يتحدث عن معاني «يـس» هذا المعنى أي أنه قسم وعزاه إلى عكرمة ولم يذكر أنه اسم من أسماء الله كما فعل ابن جرير الطبري. انظر أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ٥/ ٤٧٢.

(١) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م١٢/ج٢٢/ ص١٤٨.

(٢) المرجع السابق، م١٢/ج٢٢/ ص١٤٨... وقال الزجاج في معرض تفسيره لسورة «يـس»: «جاء في التفسير (يـس) معناه: يا إنسان، وجاء يا رجل، وجاء يا محمد» أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه المنسوب إليه، ٤/ ٢٧٧.

وممن أشار إلى هذا المعنى وهو أنه بمعنى (يا إنسان) أبو جعفر النحاس، وعزاه إلى الحسن بإسناد، وإلى الضحاك. انظر أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ٥/ ٤٧١.

وهو على هذا المعنى معرفة؛ لأنه منادى نكرة مقصودة فتتعرف بالنداء.

والثالث: أنه افتتاح كلام.

حيث يقول ابن جرير الطبري: «... وقال آخرون: هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه»[1].

فـ «يـٓسٓ» على هذا المعنى من الحروف المقطعة التي افتتح بها بعض السور للتنبيه على إعجاز القرآن بمنزلة «الٓمٓ»؛ فخرجت من العلمية.

أما القول **الرابع** الذي أورده ابن جرير الطبري في (يـٓسٓ) فهو أنه اسم من أسماء القرآن. يقول: «... وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن»[2].

---

(١) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م١٢/ج٢٢/ص١٤٨.

وانظر: أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ٥/ ٤٧١، ٤٧٢.

قال النحاس: «... عن الحسين «يـٓسٓ» قال: افتتاح القرآن... وقال مجاهد: من فواتح كلام الله جل وعزّ».

(٢) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م١٢/ج٢٢/ص١٤٨.

ونسب أبو جعفر النحاس إلى قتادة أنه اسم للسورة، انظر أبو جعفر النحاس، معاني القرآن لكريم، ٥/ ٤٧٢.

ومعنى ذلك أنَّ «يـٰسٓ» على هذا القول علم؛ فعلميته كونه اسماً من أسماء القرآن.

وأسند الزمخشري إلى ابن عباس أنه بمعنى يا إنسان في لغة طيِّىء، ولم يجزم الزمخشري بصحته؛ يقول في معرض حديثه عن «يـٰسٓ»:

«وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: يا إنسان في لغة طيء. والله أعلم بصحته»[1].

ثم أوضح أنه إن صح فإن أصله يا أُنَيْسِين، فلما كثر النداء به على ألسنتهم حذفوا بعضاً منه تخفيفاً فصار «يـٰسٓ»؛ يقول متمِّماً قوله السابق:

«وإن صحَّ فوجهه أن يكون أصله يا أُنَيْسِين. فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره، كما قالوا في القسم مُ الله في أيمُن الله»[2].

إذاً فـ «يـٰسٓ» على هذا الوجه نداء، ولا يهمنا إن كان بلغة الحبشة، أو طيِّىء أو كلب، أو كان باللغة السريانية؛ لأن العرب تكلَّمت به فصار من لغتهم[3].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٢٧٩.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٢٧٩.

(٣) أشار إلى هذه اللغات في «يـٰسٓ» أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، انظر الجامع لأحكام القرآن، م٨/ج١٥/ ص٥.

ويعلّق أبو حيّان على قول ابن عباس: «معناه يا إنسان بالحبشية وعنه هو في لغة طيىء» فيقول: «وذلك أنهم يقولون: إيسان بمعنى إنسان، ويجمعون على أياسين...»[1].

ومما يضعف هذا القول أنَّ أبا حيان لم يدعِّم كلامه بإثبات من كلام العرب من أنهم يقولون: إيسان بمعنى إنسان ويجمعونه على أياسين. وأشار أبو حيان إلى قول آخر في «يَس» فقال:

«وقالت فرقة: يا حرف نداء، والسين مقامة مقام إنسان انتزع منه حرف فأقيم مقامه»[2].

ويعترض أبو حيان على قول الزمخشري «أن يكون أصله يا أُنَيْسِين» لأن أُنَيْسين ليس قياس تصغير إنسان بل القياس في تصغيره «أُنَيْسِيَان»؛ يقول أبو حيان:

«والذي نُقل عن العرب في تصغيرهم إنْسَان «أُنَيْسِيَان» بياء بعدها ألف فدلَّ على أنَّ أصله «أُنَيْسَان»، لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها؛ ولا نعلمهم قالوا في تصغيره: «أُنَيْسِين» وعلى تقدير أنه بقية «أُنَيْسِين» فلا يجوز ذلك إلاّ أن يبنى على الضم ولا يبقى موقوفاً؛ لأنه منادى مقبل

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٧/ ٣٢٣.

(٢) المرجع السابق، ٧/ ٣٢٣.

عليه. ومع ذلك فلا يجوز؛ لأنه تحقير، ويمتنع ذلك في حق النبوة، وقوله (يعني الزمخشري): كما قالوا في القسم: مُ الله في أيمُن الله هذا قول، ومن النحويين من يقول: إنَّ «مُ» حرف قسم وليس مُبَقًّى من (أيمُن)»[1] انتهى كلامه.

وقول أبي حيان: «فلا يجوز لأنه تحقير» فيه نظر عندي؛ لأن التصغير إنما يمتنع من البشر. وأما من الله فلا اعتراض عليه؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى له أن يطلق على نفسه، وعلى خلقه ما أراد، ويحمل ذلك على أغراض تليق بالله، ورسوله، وسائر خلقه كالتعظيم، ونحوه من أغراض التصغير؛ ذلك أن خطاب الله سبحانه لرسوله إنما يجري على طريقة العرب في كلامهم.

ومهما يكن من أمر فالباحث يرجِّح أنَّ «طٰهٰ» و «يٰسٓ» كليهما ـ من الحروف المقطعة التي تفتتح بها بعض سور القرآن الكريم، بمنزلة «الٓمٓ» وغيرها من الحروف التي تحمل فيما تحمله الدلالة على إعجاز القرآن الكريم؛ يدلُّ على ذلك أنَّ كل سورة تبدأ بالحروف المقطعة يرد في أوائلها الذكر، أو الكتاب، أو القرآن وهذا أمر مطَّرد نلحظه في «طٰهٰ» و «يٰسٓ» وغيرهما.

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٧/ ٣٢٣.

وقد تتبعت سور القرآن الكريم المبدوءة بحروف التهجي فوجدت أنَّ بعض السور تفتتح بحرف واحد كسورة «نَ»، «قَ»، و «صَ»، وبعضها بحرفين كسورة «حَمَ»، و «يَس»، و «طَسَ» و «طٰهٰ»، وبعضها بثلاثة أحرف كسورة «الَمَ»، و «وطَسَمَ»، و «الَرَ» وبعضها بأربعة أحرف كسورتي «الَمَرَ»، و «الَمَصَ» وبعضها بخمسة أحرف كسورتي «حَمَ عَسَقَ»، و «كهيعص».

وفي ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمور لا تخلو من الحكمة، لكن علم الإنسان لا يصل إليها، والخوض في معاني هذه الحروف حرفاً حرفاً يخرج من حيز هذه الدراسة.

والذي جعل بعض الناس يسمُّون بـ «طٰهٰ» و «يَس» ـ كما يبدو ـ وهو وجود ضمير المخاطب بعدهما؛ قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ (سورة (٢٠) طٰهٰ، آية ١، ٢) وقال عزَّ وجل: ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ (سورة (٣٦) يَس آية ١، ٢، ٣) فكاف الخطاب في كلتا الآيتين قد يُوهم بأنه يرجع إلى «طٰهٰ» و «يَس» في صدر السورتين مما جعل بعض الناس يتوهم بأنَّ «طٰهٰ» و «يَس» اسمان علمان، وأنهما يرمزان للنبي محمد ﷺ، وأن الضمير يعود إليهما.

والصواب أنَّ الضمير في كلتا الآيتين لا يرجع إلى

«طٰهٰ» و «يٰسٓ»؛ لأننا لو اعتبرناه راجعاً إليهما لاعتبرناه راجعاً إلى نون في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ (سورة (٦٨) القلم، آية ١، ٢) ولاعتبرنا «نٓ» اسماً يمكن أن يسمَّىٰ به كـ «طٰهٰ» و «يٰسٓ». ولم يقل بذلك أحد، وما قلناه في «نٓ» هنا يمكن أن يشمل «ٱلٓمٓصٓ» في قوله سبحانه: ﴿ٱلٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ (سورة (٧) الأعراف، آية ١، ٢) و «طٰسٓمٓ» في قوله سبحانه: ﴿طٰسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ (سورة (٢٦) الشعراء، آية ١، ٢، ٣)، وغير ذلك. إذ لو كان «طٰهٰ» و «يٰسٓ» علمين أصلاً لسمَّى الناس بـ «نٓ»، و «طٰسٓمٓ»؛ وغيرهما مما يؤكد أن «طٰهٰ» و «يٰسٓ» من الحروف المقطعة التي تفتح بها بعض السور. والذي يغلب على ظنّي أنَّ «طٰهٰ» و «يٰسٓ» صارا علمين على بعض الأعلام، إما جرياً على قول بعض المفسّرين الذين ذهبوا إلى أنهما علمان أو تَوهُّماً بعودة ضمير الخطاب بعدهما إليهما. مع أنَّ للضمير في القرآن الكريم سمات أسلوبية لا نجدها في غير القرآن، ومما هو جدير بالإشارة إليه أن التراث العربي في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام يخلو من «طٰهٰ» و «يٰسٓ» علمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأخفش (الأوسط) أبو الحسن سعيد بن مسعدة:
  معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن:
  طبقات الشافعي، تحقيق عبد الله الجبوري، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الأصبهاني، أبو نُعيم أحمد بن عبد الله:
  دلائل النبوَّة، بيروت، عالم الكتب، (بلا تاريخ).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، عالم الكتب، نشر إدارة الطباعة المنيريَّة، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي:
  تهذيب التهذيب، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٧هـ.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيِّد جاد الحق، مصر، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، ط٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

- أبو حيَّان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف:
البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٩٨٣م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:
سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- الزجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري:
معاني القرآن وإعرابه المنسوب إليه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- الزركلي، خير الدين:
الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٤م.

- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر:
الكشاف، الرياض، مكتبة المعارف، وبيروت، دار المعرفة، (د.ت).

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي:
تفسير أبي السعود المسمَّى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:
الكتاب، مصر، مطبعة (برلاق)، ط١، ١٣١٧هـ.

- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان:
شرح كتاب سيبويه (ميكروفيلم) بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ١٠٢٩٦/ ف، مصوَّر عن دار الكتب المصريّة برقم (١٣٧) نحو.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد (أبو) الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصريَّة، (د. ت).

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد (أبو) الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:
تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد:
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين:
تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

- الفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد:
معاني القرآن، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد:
الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٩٨٨م.
- الكتبي، محمد بن شاكر:
فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت).
- ابن كثير، الحافظ أبو الفدا، إسماعيل بن عمر:
البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- كحالة، عمر رضا:
معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ومكتبة المثنَّى، (د.ت).
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل:
إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، مصر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مكة المكرَّمة، جامعة أمّ القرى، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.